من ثمرات الرضى بالقضاء والقدر

من لطائف التفسير في القضاء والقدر وثمار الرضى به ما ذكره فضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوي في تفسر قوله تعالى في سورة مريم : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ([1])

يقول – رحمه الله تعالى – : " قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوعد﴾ **ما الميزة هنا وكل الرسل كانوا صادقي الوعد؟**

قالوا: لأن هناك صفة تبرز في شخص ويتميز بها، وإن كانت موجودة في غيره، فالذي يصدُق في وعد أعطاه، أو كلمة قالها صدق في أمر يملكه ويتعلق به.

أما إسماعيل عليه السلام فكان صادق الوعد في أمر حياة أو موت، أمر يتعلق بنفسه، حين قال لأبيه: ﴿ **يأأبت افعل مَا تُؤمَرُ ستجدني إِن شَآءَ الله مِنَ الصابرين** ﴾ ([2]) .

وليت الأمر جاء مباشرة، إنما رآه غيره، وربما كانت المسألة أيسَر لو أن الولد هو الذي رأى أباه يذبحه، لكنها رُؤيا رآها الأب، والرؤيا لا يثبت بها حكم إلا عند الأنبياء. فكان إسماعيل عليه السلام دقيقاً في إجابته حينما أخبره أبوه كأنه يأخذ رأيه في هذا الأمر: ﴿ **إني أرى فِي المنام أَنِّي أَذْبَحُكَ فانظر مَاذَا ترى** ﴾ .

فخاف إبراهيم عليه السلام أن يُقبل على ذَبْح ولده دون أن يخبره حتى لا تأتي عليه فترة يمتلىء غيظاً من أبيه إذا كان لا يعرف السبب، فأحبَّ إبراهيم عليه السلام أن يكون استسلامُ ولده للذبح قُرْبَى منه لله، له أجْرُها وثوابها.

قال إسماعيل عليه السلام لأبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ يأأبت افعل مَا تُؤمَرُ ﴾.

والوعد الذي صدق فيه قوله: ﴿ **ستجدني إِن شَآءَ الله مِنَ الصابرين**﴾ وصدق إسماعيل عليه السلام في وعده، واستسلم للذبح، ولم يتردد ولم يتراجع؛ لذلك استحق أنْ يميزه ربه بهذه الصفة ﴿ **إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوعد**﴾.

فلما رأى الحق تبارك وتعالى استسلام إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام لقضاء الله رفع عنه قضاءه وناداه جل جلاله:

﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَن ياإبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المحسنين * إِنَّ هذا لَهُوَ البلاء المبين* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** ﴾ ([3]).

فكانت نتيجة الصبر على هذا الابتلاء أنْ فدى الله الذبيح، وخلَّصه من الذبح،ثم أكرم إبراهيم فوق الولد بولد آخر : ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ** ﴾ ([4]).

وهذه لقطة قرآنية تُعلِّمنا أن المسلم إذا استسلم لقضاء الله، ورَضِي بقدره فسوف يجني ثمار هذا الاستسلام، والذي يطيل أمد القضاء على الناس أنهم لا يرضون به، والحق تبارك وتعالى لا يجبره أحد، فالقضاء نافذ نافذ، رضيتَ به أم لم تَرْضَ.

---

[1]– سورة مريم : الآية 54.

2– سورة الصافات: الآية 102.

3– سورة الصافات: الآيات 104–107.

4– سورة الأنعام: الآية 84.

وحين تسلم لله وترضى بقضائه يرفعه عنك، أو يُبيّن لك وجه الخير فيه. إذن: عليك أن تحترم القدر وترضى به؛ لأنه من ربك الخالق الحكيم، ولا يُرفع قضاء الله عن الخلق حتى يرضوا به.

وكثيراً ما نرى اعتراض الناس على قضاء الله خاصة عند موت الطفل الصغير، فنراهم يُكثِرون عليه البكاء والعويل، يقول أحدهم: إنه لم يتمتع بشبابه.ونعجب من مثل هذه الجهالات: أيّ شباب؟ وأيَّة متعة هذه؟ وقد فارق في صِغَره دنيا باطلة زائلة، ومتعة موقوتة إلى دار باقية متعة دائمة؟ كيف وقد فارق العيش مع المخلوق، وذهب إلى رحاب الخالق سبحانه؟

إنه في نعيم لو عرفتَه لتمنيتَ أن تكون مكانه، ويكفي أن هؤلاء الأطفال لا يُسألون ولا يُحاسبون، وليس لهم مسكن خاص في الجنة؛ لأنهم طلقاء فيها يمرحون كما يشاؤون؛ لذلك يسمونهم (دعاميص الجنة) ([5]) ([6]) .

وآخر يعترض لأن زميله في العمل رُقِّي حتى صار رئيساً له، فإذا به يحقد عليه ويحقره، وتشتعل نفسه عليه غضباً، وكان عليه أن يتساءل قبل هذا كله: أأخذ زميله شيئاً من مُلْك الله دون قضائه وقدره، إذن: فعليك إذا لم تحترم هذا الزميل أن تحترم قدر الله فيه، فما أخذَ شيئاً غصباً عن الله ([7]).

ترتيب وتنسيق فضيلة الشيخ / أيمن خميس حماد

---

[5]- أصل الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها.

[6]- يشير رحمه الله – إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه (2026/4) ح (2635) عَنْ أَبِي حَسَّانَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: (**نَعَمْ، صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ – أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ –، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ – أَوْ قَالَ بِيَدِهِ –، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى – أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي – حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ**)

[7]– **الشعراوي / تفسير الشعراوي (الخواطر) (9122/15).**